والمراد بالوعظ الكاذب وتنسون انفسكم انكار من حيث انهم نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم ولكن
ذكروا من الغير استدلالا به على علمهم وتأكيد الحجة عليهم وقوله يا ابن مريم عظ نفسك الحديث في الحسبة بو
وقد سلمنا ان وعظ الفاسق ساقط الجدوى عند من يعرف فسقه وقوله فاستحي مني لا يدل على التحريم
وعظ الغير بل معناه استحي مني فلا تترك الاهم وتشتغل بالمهم كما يقال احفظ اباك ثم جارك والا
فاستحي فان قيل فليجز للكافر الذمي ان يحتسب على المسلم اذا رآه يزني لان منعه من ذلك حق في نفسه
فحال ان يكون حراما عليه بل ينبغي ان يكون مباحا او واجبا قلنا الكافر ان منع المسلم بفعله فهو
تسليط عليه فيمنع من حيث انه تسليط وما جعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد
قوله لا تزن فليس بمحرم عليه من حيث انه نهي عن الزنا ولكن من حيث انه اظهار دالة الاحتكام
على المسلم وفيه اذلال المحتكم عليه والفاسق يستحق الاذلال ولكن لا من الكافر الذي هو اولى
بالذل منه فهذا وجه منعنا اياه من الحسبة والا فلسنا نقول ان الكافر يعاقب بسببه قوله
لا تزن من حيث انه نهي بل نقول اذا لم يقل لا تزن يعاقب عليه ان رأينا خطاب الكفار
بفروع الدين وفيه نظر استوفيناه في الفقهيات وليس يلتفت بغرضنا الآن الشرط الرابع
كونه ماذونا من جهة الامام والوالي فقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا للآحاد من الرعية
الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الآيات والاخبار التي اوردناها تدل على ان كل من رأى
منكرا فسكت عليه عصى اذ يجب نهيه اينما رآه وكيف ما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام
تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف ما لم يخرج
الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء احسن رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان
يقال لهم اذا جاءوا الى القضاة طالبين حقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف
واستخراج حقوقكم من ايدي من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا
زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج فان قيل في الامر بالمعروف
اثبات سلطنة وولاية واحتكام على المحكوم عليه ولذلك لم يثبت للكافر على المسلم مع كونه حقا
فينبغي ان لا يثبت لآحاد الرعية الا بتفويض من الوالي وصاحب الامر فنقول اما الكافر
فممنوع لما فيه من السلطنة وعز الاحتكام والكافر ذليل لا يستحق ان ينال عز التحكم على المسلم
واما آحاد المسلمين فيستحقون هذا العز بالدين والمعرفة وما فيه من عز السلطنة والاحتكام
لا يحوج الى تفويض كعز التعليم والتعريف اذ لا خلاف في ان تعريف التحريم والايجاب لمن هو جاهل مقدم

على

١٥٢

على المنكر لجهله لا يحتاج الى اذن الوالي وفيه عز الارشاد وعلى المعرف ذل التجهيل وذلك
يكفي فيه مجرد الدين وكذلك النهي وشرح القول في هذا ان الحسبة لها خمس مراتب كما سيأتي
بيانها الاولى التعريف والثانية الوعظ بالكلام اللطيف والثالثة السب والتعنيف
ولست اعني بالسب الفحش بل ان تقول يا جاهل يا احمق الا تخاف من الله وما يجري هذا
المجرى الرابعة المنع بالقهر بطريق المباشرة ككسر الملاهي واراقة الخمر واختطاف الثوب
الحرير من راسه واستلاب الثوب المغصوب منه ورده على صاحبه الخامسة التخويف
والتهديد بالضرب او مباشرة الضرب له حتى يمتنع عما هو عليه كالمواظب على الغيبة
والقذف فان سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت بالضرب وهذا
قد يحوج الى استعانة وجمع اعوان من الجانبين ويجر ذلك الى القتال وسائر المراتب
لا يخفى وجه استغنائها عن اذن الامام الا المرتبة الخامسة فان فيها نظرا سيأتي اما
التعريف والوعظ فكيف يحتاج الى اذن الامام واما التجهيل والتحميق والنسبة الى الفسق
وقلة الخوف من الله وما يجري مجراه فهو كلام صدق والصدق مستحق بل افضل الدرجات
كلمة حق عند امام جائر كما رواه في الحديث فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف يحتاج
الى اذنه وكذلك كسر الملاهي والمنع من شرب الخمر فانه تعاطي ما يعرف كونه حقا من غير اجتهاد
فلم يفتقر الى الامام فاما جمع الاعوان وشهر الاسلحة فذلك قد يجر الى فتنة عامة ففيه
نظر سيأتي واستمرار عادات السلف على الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء
عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذلك وان كان ساخطا له
فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف يحتاج الى اذنه في الانكار عليه ويدل على ذلك عادة السلف
في الانكار على الائمة كما روي ان مروان بن الحكم خطب خطبة قبل الصلاة في العيد فقال له رجل
انما الخطبة بعد الصلاة فقال مروان ترك ذلك يا فلان فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى
ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع
فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان فلقد كانوا فهموا من هذه
العمومات دخول السلاطين تحتها فكيف يحتاج الى اذنهم وروي ان المهدي لما قدم مكة
لبث بها ما شاء الله فلما اخذ في الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه
ثم هزه وقال له انظر ما تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)